

مقصوده أن تكون حركات الإنسان وسكناته وعباداته الظاهرة والباطنة لله وحده

الإخلاص.. حقيقة الدين ومفتاح دعوة المرسلين وشرط قبول الأعمال الصالحة

■ ابن تيمية أكد أن

العمل القليل يفعلهُ

الإنسان على وجه يكمل

فيه إخلاصه يغفر الله

به كبائر الذنوب

قال الله تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك بين القيمة» وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه، قيل: وما إيقانه يا رسول الله؟ قال: يخلصه من الرياء والبدعة».

إنَّ الله تبارك وتعالى جعل الإخلاص شرطاً لقبول الأعمال الصالحة. والإخلاص هو العمل بالطاعة لله وحده. والخلص هو الذي يقوم بأعمال الطاعة من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة وقراءة للقرآن وغيرها ابتغاء الثواب من الله وليس لأن يمدحه الناس ويذكروه.

فالمخلص يجب أن تكون نيته خالصة لله تعالى وحده فقط فلا يصلي ليقول عنه الناس «فلان فصل لا يقطع الفرائض»، والصائم يجب أن يكون صيامه لله تعالى وحده فقط وذلك الأمر بالنسبة للمعزى والمتصدق وفارئ القرآن ولكل من أراد أن يجعل عمل به وإحسان.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل سآله بقوله: «يا رسول الله الرجل يبتغي الأجر والذكر ما له؟» قال: لا شيء له، فسأله الرجل مرة ثانية: الرجل يبتغي الأجر والذكر ما له؟ قال: لا شيء له، حتى قال ذلك ثلاث مرات ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتغى به وجهه». رواد الحكم: أي أنَّ من نوى يعمل الطاعة لأفقر من الله والذكر من الناس فليس له من الثواب شيء.

قال تعالى: «فمن الذين يتفقون

أموالهم في سبيل الله فيكبل حبة

أنتيت سبع سنابل في كل سنبلة

مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء

والله واسع عليم».

فالمرسل الذي يدعُهِ المسلم

في سبيل الله ووجوه الخير

يضاعفه الله إلى سبعمئة ضعف

ويزيد الله لمن يشاء. وهذا الحكم

وهو مضاعفة الأجر عام للمصلي

والصائم والمعزى والمتصدق

وقارئ القرآن والأمير بالمعروف

والناهي عن المنكر وغيرهم بشرط

الإخلاص لله تعالى الذي هو

أساس العمل.

أما الرياء فهو العمل بالطاعة

طلباً لمحمدة الناس فمن عمل غل

طاعة وكانت نيته أن يمدحه

الناس وأن يذكروه بأفعاله فليس

له ثواب على عمله هذا بل وعليه

معصية كبيرة ألا وهي معصية

الرياء.

وقد سئى الرسول عليه الصلاة

والسلام الرياء الشرك الأصغر،

شبهه بالشرك الأكبر لعظمه.

فالرياء ليس شركاً يخرج فاعله

من الإسلام بل هو ذنب من أكبر

الكبائر.

إن الإخلاص هو حقيقة الدين

ومفتاح دعوة المرسلين قال تعالى:

ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه

لله وهو محسن وعن أبي هريرة

قال: قال رسول الله -قال الله

تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن

الشرك، من عمل عملاً أشرك معي

والذكر من الناس فليس له من

الثواب شيء».

وقال: «من تعلم علماً بما يبتغي

به وجه الله عز وجل لا يتعلمه

إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم

يجد عرف الجنة (يعني ربحها)

يوم القيامة». رواد أبو داود،

والإحدائيت في هذا الباب كثيرة

جداً.

قد يقول قائلكم ما الإخلاص

الذي يأتي في الكتاب والسنة

واستعمال السلف الصالح رحمهم

الله؟

والرد على ذلك بالقول أن

تعريف العلماء للإخلاص

تنوعت، ولكنها تصب في معين

واحد ألا وهو أن يكون قصد

الإنسان في حركاته وسكناته

وعباداته الظاهرة والباطنة، أن

تكون خالصة لوجه الله تعالى، لا

يريد بها شيئاً من حطام الدنيا أو

ثناء الناس.

قال الفضل بن زياد سالت أبا

عبدالله يعني الإمام أحمد ما

حُتِل عن النية في العمل، قلت

كيف النية: قال يعالج نفسه، إذا

أراد عملاً لا يريد به الناس.

قال أحد العلماء: نظر الأكياس

في تفسير الإخلاص فلم يجدوا

غير هذا: أن تكون حركته وسكوته

في سره وعلايته لله تعالى لا

بمازجه نفس ولا هوًى ولا دنيا.

إن شأن الإخلاص مع العبادات

بل مع جميع الأعمال حتى المباحة

لعجيب جداً، فبالإخلاص يعطي

الله على القليل الكثير، وبالرياء

وترك الإخلاص لا يعطي الله على

الكثير شيئاً. يقول شيخ الإسلام

ابن تيمية رحمه الله: «والنوع

الواحد من العمل قد يفعله الإنسان

على وجه يكمل فيه إخلاصه

وعيوبه له، فيغفر الله به كبائر

الذنوب كما في حديث البطاقة،

وحديث البطاقة كما أخرجه

الترمذي وحسنه والنسائي وابن

حبان والحاكم من حديث عبد

الله بن عمرو بن العاص قال: قال

رسول الله: «صاح برجل من أمتي

على رؤوس الخلائق يوم القيامة

فبشر له تسعة وتسعون سجلاً،

كل سجل منها مئ البصر، ثم يقال:

انك من هذا شيئاً؟ انظرك كتبتي

الفاظطون؟ فيقول: لا يا رب.

فيقال: انك عذر أو حسنة فيها؟

فيقول الرجل: لا. فيقال: بلي إن

لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك

اليوم، فيخرج له بطاقة فيها:

أشهد أن إله إلا الله وأن محمداً

عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما

هذه البطاقة مع هذه السجلات،

فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع

السجلات في كفة، والبطاقة في

كفة فطاشت السجلات وثقلت

البطاقة، صححه الذهبي.

قال ابن القيم -رحمه الله-:

«فالأعمال لا تتفاضل بصورها

وعدها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما

في القلوب، فتكون صورة العبد

واحدة، وبينهما من التفاضل كما

بين السماء والأرض. قال: وتامل

حديث البطاقة التي توضع في

كفة ويقابلها تسعة وتسعون

سجلاً، كل سجل منها مئ البصر

تنقل البطاقة وتخلص السجلات،

فلا يعذب. ومعلوم أن كل موحد

له هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل

الشار ينزويه. أضر رحمه الله.

ومن أضر أيضاً أيها الأخوة

حديث الرجل الذي سقى الكلب،

وفي رواية: بقي من بغايا بني

إسرائيل.

فعن أبي هريرة أن رسول الله

قال: «بينما رجل يمشي بطريق

اشتد عليه العطش، فوجد بئراً

فنزّل فيها فحرب، ثم خرجه فإذا

كلب يلهث ياكل الترى من العطش،

فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من

العطش مثل الذي قد بلغ مني، فنزّل

البئر فصاّخفه ماء ثم أمسكه بفيه

حتى رقي فسقى الكلب، فشكر الله

له فغفر له، قالوا: يا رسول الله إن

لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كل

كبد رطبة أجر» متفق عليه.

وفي رواية البخاري: «شكر

الله له فغفر له فأبخله الجنة».

ومن هذا أيضاً ما رواه مسلم عن

عبدالله بن عمرو أيضاً عن النبي

-صلى الله عليه وسلم -قال: «شكر

«لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة

في شجرة قطعها من ظهر الطريق

كانت تؤذي المسلمين»، وفي رواية:

«مر رجل ببغص شجرة على ظهر

طريق فقال: والله لأنحن هذا عن

المسلمين لا يؤذيهم فأبخل الجنة».

قال شيخ الإسلام رحمه الله

معلقاً على حديث البيهقي الذي

سقت الكلب وحديث الرجل الذي

أماط الأذى عن الطريق قال رحمه

الله: فهذه سقت الكلب بإيمان،

خالص كان في قلبها فغفر لها،

وفي المقابل نجد أن أداء الطاعة

يكون إخلاصاً وصديق مع الله،

لا قيمة لها ولا ثواب فيها، بل

صاحبها معرض للعقاب الشديد،

وإن كانت هذه الطاعة من الأعمال

العظام كالإنفاق في وجوده

الخير، وقال النكار، وقيل: العلم

الشرعي.

كما جاء في حديث أبي هريرة

قال: سمعت رسول الله يقول:

«إن أول الناس يقضي يوم القيامة

عليه رجل استشهد قاتى به، فما

عقره نعمته فعرّفها قال: فما

الرياء عكس الإخلاص وهو عمل الطاعة طلباً لمحمدة الناس لا ابتغاء وجه الله

عملت فيها؟ قال: قائلت قيك حتى

استشهدت، قال: كذبت ولكنك

قائلت لبئال: جريء فقد قيل ثم

أمر به فسحب علي وجهه حتى

ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ

القرآن قاتني به يعرّفه نعمه

فعرّفها، قال فما عملت؟ قال

تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك

القرآن قال: كذبت ولكن تعلمت

لبئال عالم، وقرأت القرآن لبئال

قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب

على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه، وأعطاه

من صنوف المال قاتى به عقره

نعمه فعرّفها، قال: فما عملت فيها

ألا أنفقْتُ فيها قال: ما تركت من

سبيل تحب أن يتفق فيها لك، قال:

كذبت، ولكنك فعلت لبئال: جواد،

فقد قيل، ثم أمر به فسحب على

وجهه حتى ألقي في النار». رواد

مسلم.

أيها الأخوة في الله: ولذلك فقد

كان سلفنا الصالح رحمهم الله

أشد الناس خوفاً على أعمالهم

من أن يخالفه الرياء أو تشويها

شائنة الشرك، فكانوا رحمهم الله

يجاهدون أنفسهم في أعمالهم

وأقوالهم، كي تكون خالصة لوجه

الله سبحانه وتعالى.

ولذلك لما حدث يزيد بن هارون

بحديث عمر: «إنما الأعمال

بالنيات» والإمام أحمد جالس،

فقال الإمام أحمد ليزيد: يا أبا خالد

هذا الخناق.

وكان سفيان الثوري

يقول: ما عالجت شيئاً أشد

عليّ من نيتي لأنها تتقلب

عليّ.

وقال يوسف بن أسباط،

تخلص النية من فسادها أشد

على العامل من طول الاجتهاد.

وقال بعض السلف: من سره

أن يكفل له عمله، فليحسن نيته،

فإن الله عز وجل يأجر العبد إذا

أحسن نية حتى بالقلمة.

قال سبل بن عبد الله التستري:

ليس على النفس شيء أشق من

الإخلاص، لأنه ليس لها فيه

نصيب.

وقال ابن عبيدة: كان من دعاء

مطرف بن عبدالله: اللهم إني

استغفرك مما زعمت أنني أردت

به وجهك فخالط قلبي منه ما قد

علمت.

وهذا خالد بن معدان كان رحمه

الله: إذا عظمت حلقته من الطلاب

قام خوف الشبهة، وهذا محمد بن

الحكمير يقول: كابدت نفسي أربعين

سنة حتى استقامت.

وهذا أيوب السختياني كان

يقول الليل كله فإذا جاء الصباح

(أي الفجر) رفع صوته كأنه قام

الآن.

وكان رحمه الله إذا حدث

بحديث النبي يشتد عليه البكاء

(هو في حلقته) فكان يشتد العمامة

على عينه ويقول: ما أشد الزكام ما

أشد الزكام.

وهذا عبد الواحد بن زيد خبرنا

بحدث عجيب حصل لأبيوب، وقد

عاهده إلا يخبر إلا أن يموت أيوب

إذ لا رياء حينئذ، قال عبد الواحد

كنت مع أيوب ففعلتُنا عطفاً

شديداً حتى كانوا يهلكون، فقال

أيوب: تسرّ عليّ؟ فقلت: نعم إلا

أن تموت.

قال عبدالواحد فقمز أيوب



■ ابن القيم نبه إلى

أن الأعمال لا تتفاضل

بصورها وعددها

وإنما بتفاضل ما في

القلوب

برجله على حذاء فنبع الماء فشربت حتى رويت وحملت معي، وقال أيوحازم: لا يحسن عبد فيما بينه وبين ربه إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يجوز ما بينه وبين الله إلا أعمل الله ما بينه وبين العباد، ولصانعة وجه واحد أيسر من صانعة الوجه كلها.

وهذا داود بن أبي هند يصوم أربعين سنة لا يعلم به أهله، كان له مكان يأخذ طعامه في الصباح فيتصدق به فإذا جاء الغداء أخذ غداء فتصدق به فإذا جاء العشاء تعشى مع أهله.

وكان رحمه الله يقوم الليل أكثر من عشرين سنة ولم تعلم به زوجته، سبحان الله انظر كيف ربوا أنفسهم على الإ